مسائل في الجغرافيا العلمية الحديثة:
رؤية في ضبابية أساسيات الفكر الجغرافي

أ.د. جهاد محمد قربة

جامعة أم القرى، كلية العلوم الاجتماعية

تاريخ استلام البحث: ٣٠ / ٢٠١٧/١٠
تاريخ قبـول البحـث: ٢٧ / ٢٠١٧/١٢

مسائل في الجغرافيا العلمية الحديثة: رؤية في ضبابية أساسيات الفكر الجغرافي

أ.د. جهاد محمد قربة [1]
جامعة أم القرى، كلية العلوم الاجتماعية

ملخص:

بعد عصر النهضة العلمية العامة والجغرافية الخاصة للعرب بين القرنين التاسع والثالث عشر تدهور الفكر الجغرافي العربي ، وبعد تخلصه من الفترة الاستعمارية يعود مع بداية عصر الجغرافية العلمية ليشارك العالم في تطوير المعرفة الجغرافية وعمليات البحث العلمي. ومشاركته ليست فقط على محور المنهجيات الجغرافية بل وفي العمل الدائم على تطوير دراسات جغرافية على قدر كبير من الأهمية لكشف المكونات الطبيعية والبشرية والاقتصادية الجغرافية للأراضي العربية ذات الامتداد الواسع. ويلاحظ من خلال المؤلفات الفكرية المنشورة بأنها تتميز بغياب الفكر الابداعي وقيام معظم المهتمين بنقل معارف الفلسفة الجغرافية بواسطة الترجمة التي إتصفت في عدد من المنشورات بكونها حرفية وبالتالي اتسمت بالغموض وصعوبة الفهم، كما أن المراجع الفكرية هذه لم تحاول ترجمة أو شرح المقاصد بحيث تتمكن من تطوير فكر جغرافي علمي محكم،مساندللمعارف الفكرية العالمية الجغرافية. وهكذا وبالرغم من تدريس مادة الفكر في المستويات الجامعية المختلفة فان هذا الأمر لم يؤدي الى بلورة فكر علمي مستقل يسمح للناشئة فهم الأسس الفكرية لعلم الجغرافيا،وبناء أعمدة فكرية خاصة بكل جغرافي لمساعدته في أداء مهمته حسب أهداف الجغرافيا المنبثقة من فكره الجغرافي الأصيل والمطور.

ونعتقد بأن الأخطاء الفكرية الناتجة عن المنهج القياسي غير الابداعي للفكر خاصة في المنطقة العربية ناتجة عن عدم الاهتمام بالقاعدة النظرية، مما نتج عنه التباس فكري في فهم حقل الدراسة الجغرافية وماهية العمل الجغرافي وأهدافة. ويعتمد هذا البحث على استخلاص وتحليل النتائج من خلال المؤلفات الفكرية العربية ومن خلال المسح الميداني لرصد التعريف الأنسب للجغرافيا الذي تم القيام به بواسطة الاستبيان أو المقابلة أو بوسائل الاتصال المختلفة لمختلف المتخصصين في العلوم الجغرافية من حملة الدكتوراه. ويكمن الهدف من خلال هذا العمل تقديم رؤية تحاول تصويب الفكر على ضؤ التجارب الطويلة التي استطعنا استيعابها وتطويرها طيلة حياة مهنية متكاملة من العمل الجامعي.

[1] ا.د. جهاد محمد قربة، عضو هيئة تدريس، جامعة أم القرى، قسم العلوم الجغرافية، دكتوراه في الجغرافية، دكتوراه دولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة بوردو، الجمهورية الفرنسية، ايميل: j.kerbe@live.fr

A VIEW IN THE NEW SCIENTIFIC GEOGRAPHY: CONFUSION IN THE BASICS OF ARAB GEOGRAPHIC THOUGHTS

Dr.Prof. Jehad KERBE[1]
Umm ALQURA University, Geography department

Abstract:

The Arab geographic thought deteriorate after it had flourished within the period between the ninth and the thirteenth century. It came to flourish again with the beginning of the recent period of the development of scientific geography, and after it got rid of domination of colonization, to share with others all around the world in scientific research, not only in the realm of geographic methodology, but in developing perfect studies. The aim is to discover the physical, the cultural or the economic geography component sin the extensive Arab lands.

It is clear that published works lack containing thoughts. They are just borrowersof the existing geography philosophic knowledge by means of literal translation. From here we find the outcome is ambiguous and difficult to understand. Those references did not try to, professionally, translate or go in depth to present goals and targets that will result in developing a perfect scientific geographic thought that rests on the European and American thought and the like. It is noticed also that although geographic thought is included in geography methodology adopted in our universities, it has not resulted in crystalizing distinctive scientific thought that lets the youth understand geographic thought basics, and hence construct pillars on it that help him, as a geographer, to shoulder his responsibility to fulfil geographic goals. At that time it will be based on genuine scientific geographic thought.

We believe that the mistakes in thoughts in Arab world, stem from non-creative thought methodologies. This defect resulted because people do not take care of the theoretic bases, the thing that resulted in confusion in understanding the field of geography and its goals.

The present study depends on presenting and analyzing results of studying some Arabic publications in geographic thoughts, and from field work, to come out with the best for geography, especially after obtaining some data through questionnaire, personal and other modern means of communication. The targeted people in the present study are the PhD holders in geography specialty. The thing that encouraged the author to present this study is his aim to show his insight of rectifying geographic thought, from the views he gained through deep experience in teaching geography in several universities.

[1] Prof. Dr. Jehad KERBE, Staff Geography Department, Umm Al-Qura University, Docteur de 3eme Cycle en geographie, Docteur d'Etat es Lettres, Universite de Bordeaux, France, email j.kerbe@live.fr

مقدمة:

دراسة وتحليل كافة الآثار والمعطيات التاريخية من مخطوطات ودراسات حديثة تؤكد بأن أوج التطور التاريخي للجغرافيا إرتبط بظهور الإسلام، ويمثل بداية عصر نهضة جغرافية متميزة، يمكن إرجاع هذه النهضة لأسباب عديدة، أهمها، الفتح والحج والتعاليم الإسلامية.لقد أدى الفتح واتساع رقعة الخلافة الإسلامية إلى ظهور مهام جديدة، إستلزمت بدورها جمع معلومات دقيقة عن التقسيمات الإدارية والمناطق المأهولة والمحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية وتقدير الخراج والضرائب العينية والنقدية. وتطلبت المركزية في النظام الإداري، الذي تجمعت خيوطه في دمشق وبغداد، شق طرق جديدة للمواصلات، واستيفاء معلومات دقيقة عن تلك الطرق والبلاد، مع تعداد المراحل ومنازل البريد وظروف السفر وتحديد المسافات. ولذلك فقد كانت فاتحة هذا النمط وأقدمها من التأليف الجغرافي تتمثل في كتاب " المسالك والممالك " الذي كتبه ابن خردازبه (٨٤٦م)، وتلاه كثير من الكتب أشهرها "البلدان" لابن واضح اليعقوبي؛"والأعلاق النفيسة" لابن رسته و"صور الاقاليم ومسالك الممالك" للإصطخرى، و" صورة الأرض" لابن حوقل، و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي، و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي، و"معجم البلدان " لياقوت الحموي"، و"تقويم البلدان" لأبي الفداء أمير حماه.[٢]

وأدرك العرب أهمية الخريطة، فوضع البلخي أول أطلس عربي، ورسم المقدسي خرائط لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر، التي قسم إليها العالم الإسلامي، واستخدم الألوان للتمييز بيّن المظاهر الجغرافية المختلفة. وصنع الإدريسي كرة أرضية من الفضة، بين عليها الأقاليم المناخية السبعة، ووضع خريطة متصلة للعالم المعروف في زمنه.

وكذلك كان الحج مدرسة عملية في الرحلة والكشوف الجغرافية، تجمع تلاميذها من جميع الأقطار الإسلامية، فالحج مدخل طبيعي إلى الجغرافيا، ويكفي أن نذكر أن ابن بطوطة مثلاً بدأ حاجاً وانتهى رحالة والواقع ، أن كلاً من الفتح والحج جعل الفترة الإسلامية بحق فترة الكشوف الجغرافية الأولى أو البرية التي سبقت الكشوف الجغرافية البحرية المعروفة.والتعاليم الإسلامية تدعو بوضوح إلى الحركة الجغرافية" قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"(ص). وفعلاً فقد أصبح الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بالضرورة اللازمة لتكملة دور الدراسة ففي طلب العلم رحل الناس من الأندلس الى بخارى ومن بغداد الى قرطبة. وفي عصر النهضة العربية والاسلامية الذي يمتد من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، بلغت فيه المدرسة الجغرافية اوجها وحظيت باهتمام بالغ، بسبب تنوع مادتها وغناها، فهي تارة علمية وتارة شعبية، وهي دائماً واقعية وعلمية على السواء، تكمن فيها الفائدة ولذا فهي قدمت مادة دسمة متعددة الجوانب، لا يوجد مثيل لها في مدرسة أي أمة معاصرة للعرب، وهذا يعني أن الفكر الجغرافي السائد في زمن الحضارة الاسلامية والعربية كان فكرا قائما على كشف المجهول أي استكشاف ووصف المناطق والأراضي الواسعة التي امتد عليها الاسلام للتعريف بها ولتأكيد أهميتها.

تطور الفكر الجغرافي كثيرا منذ بداية القرن العشرين وخاصة معبداية النصف الثاني منه الذي عرف نشوء وتطور الجغرافيا العلمية وخاصة مع بداية الخمسينات، ومع بداية القرن الحالي تطور الفكر الجغرافي ليتحول من جديد وليضيف إطار آخر الى الجغرافيا العلمية الرياضية وهو إطار جغرافية الجيوماتيكس أو الجغرافيا الرقمية. ويبدو هذا الأمر ويتضح جليا من خلال الأعمال العلمية المنشورة في هذا الميدان التي ما زالت تحافظ على منهجيتها الاحصائية الرياضية ولكنها تزينت معه بثوب آخر هو ثوب النظم بمختلف أنواعها. وفي المنطقة العربية انتقلت العلوم الجغرافية بشكل سريع للغوص في أعماق جغرافية النظم،وتم هجر أصول الجغرافيا العلمية في استخدامها الموسع للطرق الرياضية الاحصائية التي حددت تطور المنهجيات الجغرافية في النصف الثاني من القرن العشرين، بسبب الصعوبات التي واجهت القاعدة الجغرافية العربية في هذا الميدان، أي في التطبيق الصحيح والمثمر لهذه الطرق. ومع بداية تسعينات القرن الماضي أضيف الى الصعوبات الناتجة عن تطبيق المنهجيات الرياضية في الجغرافيا صعوبات جديدة ناتجة استخدام تقنيات الجيوماتكس المستحدثة وتطوير بحوث علمية بموجبها. ويجدر القول أن لكل فترة فكرية عرفتها الجغرافيا العربية خصائص محددة وواضحة منها ما هو ايجابي وأكثرها سلبي، وما زالت الجغرافيا حتى اليوم تعاني من تبعات الفجوات الفكرية التي عرقلت تقدم الجغرافيا العلمية العربية منذ ستينات القرن الماضي، والتي تتمثل وتظهر في نقاط محددة نذكر الرئيس منها وخاصة

(٢) أحمد، نفيس، ترجمة عثمان، فتحي، ١٩٧٨م، الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، دار القلم، الكويت، الصفحات ٥٤-١٥٠.

فيما يتعلق بغوص بعض الجغرافيين في مهمات خارجة عن البساط الجغرافي لاعتقادهم بأن الجغرافيا هي ما يفعله الجغرافي، أو نتيجة لاستخدامهم المفرط وبشكل سطحي لطرق احصائية رياضية أدت الى اهمال الطرق النوعية الأكثر التصاقا بالعمل الجغرافي، وكذلك نتيجة لمحاولات الدفاع المفرط لبعض الجغرافيين حول هيمنة الجغرافيا البشرية وتهميش أو احيانا الغاء الجغرافيا الطبيعية، لدرجة لوحظ معها بأن الجغرافيا بالنسبة للبعض ليست إلا دراسة للبعد الجغرافي المكاني للمجتمعات السكانية!، وأثر هذا الأمر في التقدم الفكري والمنهجي في الجغرافيا وتبلور اعتقاد أن العلوم الجغرافية تتعلق فقط بتفاعل الانسان مع بيئته وبالتالي فان الجغرافيا البشرية هي الأساس باعتبار أن محور الجغرافيا هو الانسان بعلاقته مع بيئته؟.

ولأن الجغرافي يدرس العلاقات المتبادلة بين الانسان وسطح الأرض، أي يهتم بتطوير التفاعل بين الانسان ومجاله للوصول الى العلاقة الأمثل في تطور استخدام الأراضي المحقق لأغراض التنمية المستدامة التي هي غاية الانسان،الأمر الذي يؤدي الى زوال الاشكاليات والأزمات المختلفة للمعاناة اليومية للانسان المتمثلة في السكن أو في أزمة المواصلات، الخدمات، الجريمة....الخ. وتنامي الفكر القائم على أن الانسان هو محور العمل الجغرافي [٣]. وساعد هذا الهدف البشري على ظهور ثنائية في العلوم الجغرافية وصار التفريق والنظر بين ماهو طبيعي وماهو بشري أساسي مما أدى الى تراجع في الأداء للمتخصص في الجغرفيا الطبيعية ناتج عن تهميش العمل الطبيعي "فما هو نفع الدراسات الجيومورفولوجية ! "وشبه اهمال في الدراسات والبحث العلمي القائم على مكونات المجال الطبيعية الأخرى. وازدادت الوهدة الفكرية بين الجغرافي الطبيعي والجغرافي البشري،وانعكس ذلك بشكل واضح في الكتابات الفكرية التي يتجاهل بعضها الجغرافيا الطبيعية وتوجه البعض الآخر من الجغرافيين نحو الدراسات البيئية لكون الجغرافيا تدرس العلاقات المتبادلة بين الانسان وبيئته حسب الفكر الجغرافي السائدوالمؤثر في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي والذي ما زال تأثيره مستمر في عصر الجيوماتكس. وأدى هذا الفكر الى نشؤ ما يمكن تسميته بأشباه البيئويين الذين اعتمدوا اللجوء الى البيئه كحقل للدراسة والعمل وابتعدوا عن العمل الجغرافي الخالص والقائم على دراسة المكونات الطبيعية الأصلية والأصيلة الجغرافية لسطح الأرض،ليتناولوا موضوعات بيئية هامشيةهي بالضرورة غير جغرافية أو تم تناولها بأساليب وبمنهجيات أولية غير جغرافية،أعتبرت من قبلهم وقدمت على أساس كونها موضوعات جغرافية دون الاكتراث بالتعريف الفكري الفلسفي للمكونات أو لعناصر سطح الأرض القابلة للدراسة الجغرافية والمعرفة بنظرية الجغرفة [٥] وهذا يعتبر بحد ذاته تراجع هام في الفكر الجغرافي وخاصة في المنطقة العربية، ومن المعوقات التي أدت الى الهروب نحو الأمام من قبل جغرافيي الطبيعة أنفسهم. إن تطور نشؤ الخلط الفكري بين ما هو بيئي وما هو جغرافي أصبح خطيرالّدرجة نستطيع معه ملاحظة خروج شبه تام لبعض المتخصصين في الجغرافيا الطبيعية عن أطرهم الفكرية وخاصة من بين الجغرافيين الجدد التي لا ترتكز معارفهم على قواعد فكرية جغرافية صحيحة وأصبح التمييز بين ما هو جغرافي وغيرجغرافي بيئي غير واضح خاصة مع

---

(٢) تنتمي العلوم الجغرافية الى مجموعة كبيرة من العلوم هي مجموعة علوم الأرض التي تهتم بدراسة كل ما يتعلق بكوكب الأرض، وهذه المجموعة تضم العلوم التالية: العلوم الجغرافية، علوم البحار والمحيطات، علوم الجيولوجيا، علوم الفلك، علوم البيئة، علوم الأرصاد الجوية، وعلوم المساحة والقياسات الأرضية، ولم يعد تعبير علوم الأرض مقتصرا على العلوم الجيولوجية . أما في المنطقة العربية يلاحظ تبني هذا التعبير من قبل الجيولوجيين أو المنتمين لعلوم الجيولوجيا في محاولاتهم الاقصائية لباقي علوم الأرض وتهميشها لاعتقادهم بلعب الدور الأكبر خاصة في ظل غياب كليات لعلوم الأرض بشكا عام في الجامعات العربية.
انظر على سبيل المثال لا الحصر مؤلفات أ.د. صفوح خير ، وخاصة منها كتابه في الجغرافيا: موضوعهاومناهجها وأهدافها، دار الفكر المعاصر، دمشق

[5] Raffestin Claude, 1989, Théorie du réel et géographicité, Espaces Temps Année 1989 Volume 40 Numéro 1 pp. 26-31,Fait partie d'un numéro thématique : Géographie, état des lieux. Débat transatlantique. Besse, J., 2009, Remarques sur la geogrephicite : Genealogie du mot, enjeux epistemologiques et historiographiques. Historicites pp 285-300, Paris la Decouverte.

تعود نظرية الجغرفة الى الجغرافي البلجيكي بيير ميشوت Pierre Michaute التي نشرها في عام ١٩٢١ في اطار بحثه الفكري لايجاد توجهات جديدة في الجغرافيا، نستطيع تلخيص فكر المدرسة الجغرافية الفرنسية في موضوع الجغرفة بأن العنصر أو المتغير المكاني أو المجالي الجغرافي هو المتغير أو العنصر الذي يمتلك حيز مكاني أو مجالي على سطح الأرض وهو بالتالي مادي دائم ومرئي وملموس أو يشعر به الانسان كدرجات الحرارة .

عزوف الجغرافي الحديث عن تناول القضايا الفكرية – الفلسفية للعلوم الجغرافية التي تؤطر الجغرافيا والعمل الجغرافي. وباستعراض مجموعة الدراسات والمنشورات من كتب ومقالات علمية ونتائج المسح الميداني الذي قمنا به لسبر أساسيات الفكر الجغرافي نجد عدد من الأسباب التي ساهمت في تكوين ضبابية فكرية لدى الجغرافي العربي خاصة تتعلق بأبسط القضايا الجغرافية التي تساعد وتساهم في بناء فكر جغرافي على أسس سليمة. ومن الجدير بالذكر بأن هذا الموضوع المعالج يتطلب جهودا أكبر وأهم مما نقوم به من خلال هذه الورقة العلمية التي تهدف الى توضيح بعض النقاط الفكرية القابلة للنقاش العلمي.

ضبابية الفكر الخاص بحقل العلوم الجغرافية

لكون الجغرافيا علم المجال Science of space أو بالفرنسية Science de l'espace فانها لاتقبل هذا الانقسام بين ما هو طبيعي وما هو بشري، ولا يقبل الفكر الجغرافي الحديث ولا يكتمل أن تم إهمال أحد المكونات الطبيعية أو البشرية أو الاقتصادية للمجال من قبل الجغرافي، فالقسم البشري مهم في علم المجال ولكنه يرتكز على القاعدة الطبيعية،كما لايمكن رفض وحدة العلوم الجغرافية وقواسمها المشتركة في الأهداف والمنهجيات والفكر، لكونها هي العلوم الوحيدة من علوم الأرض التي تدرس الجزء المخصص لها من كوكب الأرض وهو السطح. وتحدد هذه النتيجةحقيقة حقل الدراسة أو ميدان العمل الجغرافي الذي يعبر عنه بالمجال والذي لا يجب الاستهانة به فكريا وعمليا، وهذا التعبير الجغرافي الخاص بسطح الأرض هوالمستخدم من قبل كافة المراجع الفكرية وغير الفكرية الجغرافية العالمية باللغات المرموقة.وكلمة Space يمكن أن تتخذ باللغة العربية ثلاث معاني جغرافية رئيسية هي الفضاء، المساحة، والمجال، وأنسب معنى جغرافي للتعبير عن حقل الدراسة الجغرافية وميدان الجغرافيا هو المجال الذي كان من الواجب اعتماده بدل عن المكان منذ بداية الخمسينات أي منذ بداية نقل المعارف الفكرية الجغرافية. وبالرغم من التطور الحالي الملاحظ في استخدام اللغات الحية جغرافيا، وقدرة كافة الجغرافيين الوصول الى المراجع الجغرافية الهامة باللغات الحية ومعرفتهم التامة بتعبير Space المستخدم بهذه المراجع وليس Place فإن المكان هو المستخدم في الجغرافيا العربية للدلالة على حقل العلوم الجغرافية دون الاكتراث بأن المكان هو بالأصح حقل دراسة المهندس المعماري أو المدني أو الحضري أو الزراعي، هؤلاء يعملون جميعهم في الموضع أو المكان وليس المجال. كما أن الضبابية الفكرية في هذه النقطة الهامة لا تتوقف عند هذا الحد، فالمجال الذي يدل على حقل الدراسة الجغرافية وميدانها لا يعني فقط المجال البشري ولا يدل فقط على المجال الطبيعي،كما لا يعبر عن وحدة مجالية للدراسة الجغرافية أي عن منطقة للدراسة، وفي نفس الوقت لا يعبر عن أي مفهوم اقليمي فالمجال يحتوي الأماكن والأقاليم. والمقصود، أن يتم الانتباه الى ضرورة أن يستخدم التعبير العلمي المناسب والأنسب للدلالة عن حقل أو ميدان عمل الجغرافيا وخاصة في حالة البحث عن بناء أساسيات فكرية صحيحة لدى الجغرافي العربي.ومن الجدير ملاحظته أن الاستخدام الخاطئ والمستمر لتعبير المكان ناتج عن أصحاب الفكر الاقليمي القائل بأن المهمة الجغرافية تكمن في دراسة الأقاليم وضرورة حصر البحث العلمي الجغرافي بدراسة الأقاليم دراسة جغرافية متكاملة أي دراسة المكونات الطبيعية والبشرية الخاصة بها من أجل تطوير عمليات التنمية المباشرة وغير المباشرة المرتبطة بالشخصية الجغرافية لهذا الاقليم، كما جاء خاصة في دراسات المدافعين عن المهمة الاقليمية للعمل الجغرافي التي لها أصول قوية في الفكر الجغرافي غير المعاصر. أيمكن القول أنه ربما في فكر المتخصصين في الجغرافيا البشرية أو الاقتصادية وبالنسبة لهم، يأتي تعبير المكان في اللغة العربية هو الأنسب بالنسبة لطبيعة مكونات دراستهم الجغرافية بالرغم من الخطأ الكبير في استخدامه.

ونعتقد أنه من خلال التعريف المقدم والمنشور في كافة المراجع الفكرية نستطيع الاطلاع وفهم مرتكزات الفكر الجغرافي القاعدي الأولي الذي وجب تطويره لاحقا في ضوء الفكر الجغرافي الحالي المعاصر والذي يميز الجغرافيا الالكترونية أو جغرافية الجيوماتيك Geomatic Geography. وهنا ندرك أنه حتى في حالة تبني الفكر الجغرافي الاقليمي فان مجموعة العلوم الجغرافية الطبيعية والبشرية لا تلغي بعضها البعض بل تتكامل لتدرس المجال الخاص بأي منطقة للدراسة محددة جغرافيا من أجل الهدف العام والأبدي للعلوم الجغرافية الكامن في الاستخدام الأمثل

لسطح الأرض لأغراض التنمية المستدامة .[٦]

أهمية الأصول التاريخية:

وتعود الأصول التاريخية للجغرافيا الحديثة الىبداية الربع الأخيرللقرن ١٩م عندما صارت كعلم مستقل يدرس في الجامعات الألمانية، فكيف يمكن أن نفهم تطور الفكر الجغرافي مع بداية التحول الحقيقي للجغرافيا من كونها عبارة عن دراسات وصفية للأقاليم إلى علم حقيقي، وكيف يمكن أن نحدد واقع وحدة مجال الجغرافيا وطبيعته؟ وكيف لنا أن نناقش هذا الموضوع بشكل علمي وموثق؟

فردريك راتزل ، الكسندر فون همبولت ، الفرنسي دي لابلاش ، الألماني ريتر ... هولاء أسسوا العلوم الجغرافية الحديثة. وبالنظر إلى بعض الأفكار التى جاء بها مثلاً الكسندر فون همبولت المتعلقة بدراساته حول تأثيرات الظروف الطبيعية في الإنسان والنشاط البشري، نجد دراسات متكاملة للعلاقات التى نتجت عن تفاعل الانسان مع وسطه الجغرافي وجعلت من عناصر سطح الأرض تحدد أماكن معقدة مميزة عن بعضها البعض، فالجغرافيا هى دراسة الأماكن الأرضية بما فيها من محتويات مختلفة لكل اقليم،للتوصل أو لمحاولة ادراك الجغرافيا لشخصية أقاليم العالم المختلفة.

لم يتخذ فيدال دولابلاش من مؤسسي المدرسة الفرنسية وهي مدرسة وسطية منطقية،أي اتجاه حتمي أو إمكاني، بل أن مدرستة كانت تعبر عن فكر احتمالي وتحاول إيجاد علاقة منطقيةبين المبادىء التى كانت سائدة لذلك سميت بالمدرسة الاحتمالية. فيدال دولابلاش في تعريفه للجغرافيا الذي ورد في مرجعه المشهور بعنوان"الجغرافيا الطبيعية" وكذلك في كتابه"الجغرافيا البشرية"ومن خلال دراسات دولابلاش المختلفة، وكذلك الدراسات العلمية لمن عاصروا لابلاش فان الهدف من دراسة الجغرافيا أو المهمة أو الوظيفة الجغرافية تتحقق من جراء دراسة سطح الأرض باعتباره وسط الإنسان Milieu de l'homme ،فميدان العلوم الجغرافية لا يختصر بدراسة موسوعية للأقاليم ولا يمكن للاقليم أن يكون ميدان لدراسة الجغرافية، اذا فسطح الأرض المعبر عنه بالمجال هو حقل دراسة العلوم الجغرافية وليس البيئة [٧].

تبدو هذه الفكرة واضحة باعتبار أن أفكار مؤسسي الجغرافيا الحديثة ترتكز على أسس علمية تؤطر الجغرافيا ولا تطمسها لتخرجها الى النور ولتضعها على سلم التطور وليس العكس، وعندما فكروا في هذا العلم أكدوا أن الجغرافيا هى دراسة مكونات سطح الأرض بعلاقاتها المجالية أي مع علاقاتها مع سطح الأرض، وهذا الفكرانعكس في الدراسات الموروثة عن مؤسسي الجغرافيا الحديثةالتي لم تقم على دراسة الانسان فقط ولا يمكن أن تنظر الى سطح الأرض على أنه مجرد مسكن للبشرية، ولاتظهرهذه الدراسات أن الجغرافيا هى دراسة خاصة بمكونات سطح الأرض الطبيعة فقط. وإنما جاءوا بفكر يحاول أن يؤسس الدراسات

---

(٦) لعب المسلمون والعرب دورا هاما في تطور الجغرافيا الإقليمية: كتاب أحسن التقاسيم لمعرفة الأقاليم، للمقدسي، معجم البلدان لياقوت الحموي وغيرها ونجد جذور الفكر االاقليمي العلمي مع نشوء الجغرافيا الحديثة في أعمال ريتر وهمبولت التي حاولت تقسيم العالم إلى أقاليم بيئية، وطبق ريتر ذلك في كتابه عن جغرافية أوروبا ١٨٠٧م وكذلك محاولة تقسيمه العالم على أساس اقليمي في أربع مجلدات ١٨١٧-١٨١٨م ويعتبر ريتر باعث الجغرافيا الإقليمية، وهناك كذلك دراسات همبوات عن أميركا المدارية، كما قام الفرد هتنر قام بدراسات اقليمية هامة أواخر القرن التاسع عشر، وهربرتسن ١٩٠٥ م حاول تقسيم العالم على أسس مناخية وطبيعية وهو أول من استخدم مفهوم الاقليم الطبيعي. ونستطيع القول أن الفكر الجغرافي الإقليمي في النصف الثاني من القرن العشرين أستخدم أساس للتخطيط الاداري أي للتقسيمات الادارية للأراضي الوطنية خاصة في القارة الأوروبية مما ساعد على تطوير الخدمات والبنى التحتيةوخاصة تخطيط شبكات الطرق والمواصلات المختلفة من سكك الحديد وطرق الاختراق وطرق الهاي واي والطرق العادية،وعرف الفكر الجغرافي الاقليمي في الستينات من القن العشرين عندما دعيت الجغرافيا الاقليمية بالجغرافيا الحقيقية True Geography وعبر كارل ساور عنها بقوله: الجغرافية ما هي الا دراسة أقاليم وهي هدف الدراسات الجغرافية، يرى ديكنسون بأن الجغرافيا الإقليمية هي هدف ومحور وغاية الجغرافيا الحديثة، ويقول جلبرت الجغرافيا هي فن التعرف على شخصية الإقليم ووصفه وتحليله، وأخيرا نجد أن من كبار المدافعين عن الفكر الاقليمي الجغرافي هو جمال حمدان الذي ذكر بأن الجغرافيا الكاملة والكامنة لا تتحقق في شيء كما في الدراسات الإقليمية.

(٧) قمنا باجراء دراسات معمقة عن طريق العودة للأصول الأجنبية للتعرف على مصدر علمي واحد يتكلم عن كون الدراسة الجغرافية تتحدد بالعلاقة بين الانسان والبيئة، كما هو مكرر ومتكرر في الدراسات الفكرية العربية....لم نجد أي شيئ، ويرجح بأنه تمت ترجمة كلمة Milieu أي الوسط الذي يعيش به الانسان أو الايكومن Ecoumene التي تعني مجموعة الأوساط البشرية التي تتحدد بالعلاقات الاقتصادية التقنية الفنية مع الانسان والتي تدرس خاصة من قبل أحد فروع الجغرافيا البشرية وهو علم Mesologie فهل يترجم ذلك بالبيئة لكي تصبح البيئة في أذهان البعض حقل العمل الجغرافي!!!

الجغرافية كعلم يدرس سطح الأرض بما يحتوى من عناصر طبيعية وبشرية دون عزلها عن هذا السطح. ويمكن أن نفهم في نفس الوقت بأن التعريف الخاص بالجغرافيا من قبل مؤسسيها في فترة القرن ١٩م هو تعريف مبسط أو على قدر من التبسيط لأنه يعكس في نفس الوقت نوع من الشمولية التي كانت سائدة في الفكر الجغرافي في ذاك الوقت، وبالتالي لا يجب التشديد على استخدام التعاريف القديمة.

العلوم تتطور، وتطور العلوم يؤدي إلى رفع مستويات المعرفة ويؤدي الى نشؤ فروع علمية تتحول الى تخصص علمي لا يخلو من التعقيد، ويؤدي الى تخصص المعارف في العلم نفسه وبشكل متعاظم وتدريجي، وكانت الجغرافيا تحتوي في زمن همبولت وراتزل على تخصصين هما جغرافيا طبيعية وجغرافيا بشرية، أما اليوم فان العلوم الجغرافية تتضمن ما يقرب الخمسون علم. وبالتالي لا يجب اليوم أن نستغرب لماذا كان الفكر الجغرافي مع بداية الحداثة فكرا مبسط انبثق عنه تعريف أولي للجغرافية سهل ومرن يعبر عن الفكر الجغرافي السائد في ذاك الوقت. ومع تطور العلوم الأخرى ومع تطور النظريات العلمية وتطور وسائل البحث العلمي ومع استخدام الجغرافي للأدوات والوسائل التى مكنته من إنجاز الدراسات الحقلية الخاصة بسطح الأرض، تحولت الجغرافيا من جغرافيا وصفية أدبية إلى جغرافيا علمية بمعناها الحقيقي معبداية القرن ٢٠م، وخاصة في النصف الثاني لهذا القرن الذي عرف تطورا وتوسعا في استخدام الطرق والأساليب الرياضية والاحصائية حيث تبلورت الجغرافيا العلمية بشكل واضح Scientific Geography.

ضبابية الفكر الخاص بوحدة المهمة الوظيفية في العلوم الجغرافية

استخدام الطرق والأساليب الرياضية والاحصائية بكافة أنواعها وحتى المتقدمة منها يعتبر أحد أسباب تحول الجغرافيا الى العلمية، بالاضافة الى توفر أسباب أخرى اعتمدت من جغرافيي القرن العشرين ناتجة عن الاهتمام بالتجارب والاهتمام بالقياس وتطبيقها على سطح الأرض حقل العمل الجغرافي، وأدى هذا الأمر بشكل مباشر الى تطوير طرق القياس وطرق للتجارب بمختلف أنواعها وانعكس بشكل ايجابي في أداء الجغرافي وجعل العلوم الجغرافية تتخذ مكانة هامة على الساحة العلمية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ومن أمثلة القياسات الأرضية المستخدمة في العمل الميداني والتي تعبر عن الدقة والعلمية الجغرافية ما يلي:

- استخدام وتصميم الاستبانات والاستمارات الحقلية بمختلف أنواعها لدراسة السكان وعناصر السطح ، وتعتبر الاستبانة أداة قياس عند تطبيق هذه الاستبانة في الحقل، وهي من أدوات قياس الانسان بشكل مباشر، أما الاستمارة فهي مخصصة للعناصر المادية كاستمارة الترب على سبيل المثال.

- تصوير سطح الأرض، وهي عملية قياس، ان كان التصوير ميداني أو جوي أو فضائي ان كان التصوير من قبل الجغرافي أو من قبل غير الجغرافي، مما أدى الى تطوير الجغرافيا التقنية المعاصرة.

- اجراء القياسات للعناصر الطبيعية مثل القياسات الهيدرولوجية عن طريق استخدام جهاز قياس سرعة الماء أو اجراء قياسات للعناصر الجوية أو القيام بقياسات لأبعاد منطقة ما داخل اقليم الدراسة...الخ.

ومن أهم التجارب التي يقوم بها الجغرافي المعاصر التحليل الغرانولومتري لعينات التربة لتحديد قوامها ومن ثم تحديد نسبة الطين أو تحديد نسبة الحصى في المختبر...الخ. ويستعمل الجغرافي في الوقت الحاضر ومنذ بداية القرن ٢٠م مختلف وسائل القياس ومختلف أنواع التجارب التى تمكنه من التعرف الدقيق على منطقة دراسته، هذا بالاضافة الى استخدام مختلف طرق القياس والتحليل غير المباشرة لسطح الأرض بواسطة الصور الجوية والمرئيات الفضائية، مما أكد تطور وتبلور الجغرافيا العلمية وحقق لها المكان المناسب على خريطة العلوم.

ويجب بعد هذا النظر في واقع الجغرافيا العربية وهل اتسمت بالوضوح الفكري خاصة في ما يتعلق بأسس العلم ومهمته ووحدة أهدافه التي يمكن للباحث أن يراها من خلال مختلف تعاريف العلم التي وضعت في الأساس لتلخيص أساسيات الفكر الجغرافي السائد أي الفكر العلمي للجغرافيا العلمية ولجغرافية الجيوماتكس المعاصرة.

ويجب على أي تعريف عندما يقدم إن يكون شامل للشيء المعرّف وبشكل موجز وغير منقوص وان يكون جزل أي أن يستخدم المفردات العلمية الصحيحة والدقيقة، غير مجتزأ أو يستخدم لصياغتة عبارات غير مفهومة وأن لا يتأثر بتخصص صاحبه وأن يكون أخيرا" متضمنا"لمختلف

مركبات أو مكونات الشيء المعرّف .

وتعريف علم الجغرافيا يجب إن يحتوي على أساسيات منها :

١ – ميدان الجغرافيا، ٢– المهمة الجغرافية،

٣– أهداف الجغرافيا .

وندرك محاولة عدد كبير من الجغرافيين ممن يعتقدون بأهمية الفكر في تطوير العلم على قواعد سليمة وصلبة وممن لديهم حس فلسفي للعلم الذي ينتمون إليه بطريقة أو بأخرى،في وضع ونشر تعريف خاص بهم للجغرافيا، وحاول بعض منهم وضع تعاريف للجغرافيا مدهشة أو ملفتة للانتباه بغرض الإبهار، كما جاءت تعاريف أخرى غامضة وركيكة في نفس الوقت، أو متأثرة بشدة بتخصص واضعها. إن الهدف من تحليل هذه التعاريف هو في أن نتبيّن من خلالها الاتجاهات والمفاهيم الفكرية في العلوم الجغرافية، كما نريد إن نستعرض من خلالها المصطلحات الخاصة بالفلسفة الفكرية الجغرافية المتوفرة والمستخدمة من قبل الجغرافيين العرب بشكل خاص، ونحدد التعريف الجيد بأنه التعريف الذي يمكن من ورائه انبثاق فلسفة علمية أصيلة أدت في الواقع الى تطوير فكري هام للجغرافيا أو لأحد فروعها.

بالرغم من استتباب وتبلور الفكر المنهجي العلمي للجغرافيا المعاصرة فان النظر في جملة التعارف المتوفرة في المراجع العربية والمقدمة للجغرافي العربي عن الجغرافياالحديثة والمعاصرة ما زالت تتسم بالضبابية ولا تساعد الجغرافي العربي على بناء فكر علمي صحيح بالرغم من تعدد التعاريف المتوفرة عن الجغرافيا نفسهاالتي تعبر عن تباين وتعدد وعدم اتفاق على المهمة أو الوظيفة الجغرافية والمتداولة في الأدبيات العربية مم أدى الى المساهمة في تطور نوع من الغموض والكثير من التساؤل عن حقيقة دور الجغرافي.

ونورد على سبيل المثال لا الحصر بعض من هذه المحاولات المنقولةالتي نتصور شدة إرباكها لفكر الناشئة من الجغرافيين: وهي تعريفات جغرافية سريعة أو مجتزأة عمدا أو بغير عمد وهي بالضرورة تعريفات ناقصة مثال :[٨]

١– تعريف Mill ،الجغرافيا هيعلم التوزيعات..

٢– الجغرافيا هي علم الأينية.

٣– الجغرافيا هي علم فلسفة المكان .

٤– الجغرافيا هي علم العلاقات المكانية .

٥– تعريف الفرنسي De La Blache الجغرافيا هي علم المجال Espace الذي ترجم بالمكان

٦– الجغرافيا هي دراسة العلاقة المتبادلة بين الطبيعة الحية والطبيعة غير الحية.

٧– الجغرافيا هي ما يفعله الجغرافي

٨– تعريف باروز، الجغرافيا هي علم العلاقات

٩– تعريف ستودارت، الجغرافيا هي علم النظم البيئية

١٠– تعريف دوجير، الجغرافيا هي علم المواقع

١١– تعريف ساور، الجغرافيا هي علم اللاندسكيب.

١٢– الجغرافيا هي علم الاختلافات المكانية .

١٣– الجغرافيا هي ما يفعله الجغرافي .

١٤– الجغرافيا هي علم الأمكنة .

١٥– الجغرافيا هي علم الحروب.

١٦– الجغرافيا هي علم الاختلافات الإقليمية .

١٧– الجغرافيا هي علم النظم المكانية.

وهذا التعريف الأخير هو للجغرافي الأمريكي هارتشورن المشهور والذي ساهم في تأسيس فكر جغرافي حديث وترجم كاتبة إلى اللغة العربية من قبل كل من عبد العزيز آل الشيخ، وموسى الشاعركما سبق ذكره.

والسؤال المطروح الآن هو في كيفية النظر إلى جملة هذه التعاريف، مع ملاحظة كونها تعريفات ناقصة، وهي بالضرورة عالية الغموض، خاصة عندما قدمت الجغرافيا بأنها علم فلسفة المكان، فلا المكان هو حقل الدراسة الجغرافية ولا الجغرافيا هي علم فلسفي! فهل يجب اعتماد هذه التعاريف علميا خاصة وأن مجملها جاء على يد جغرافيين رفيعي المستوى؟ كما لا تعتبر هذه التعاريف مثالية للجغرافيا لكونها ناقصة ولكون معظمها يهتم فقط بالمهمة الجغرافية ولم تتضمن أي ذكر لميدان الجغرافيا ومنهجيتها وأهدافها، بالاضافة إلى قضية الغموض وعدم الدقة والخطأ في ترجمة المعاني الأصلية لهذه التعاريف من مراجعها الأصلية. وجاء هذا الخطأ الشائع الذي تم قبوله حاليا نتيجة لعدم التمييز بين كلمة Space وكلمة Place حيث إن كلمة Place تعني حرفيا المكان فإذا كان المعنى باللغة الانجليزية والفرنسية ل Place هو المكان فكيف تترجم كلمة Space

(٨) تم استخراج كافة هذه التعاريف من المراجع في الجغرافيا الفكرية باللغة العربية والتي سنعمل على ذكر أهمها والتي تمت الاستعانة بها في قائمة المراجع

إلى مكان،ولترجمة تعريف دولابلاش لا يمكن القول بأن الجغرافيا هي علم الأمكنة إنما نقول بأن الجغرافيا هي علم المجال، كذلك عندما نترجم هارتشورن نقول الجغرافيا علم الأنظمة المجالية وليس المكانية [٩] .

الجغرافيا بين المكان والمجال:

لا يعتبر طرح هذا الموضوع جدليا بقدر ما هو أساسي ويعتبر تصحيحا لأهم مدرك فكري جغرافي وموجه علمي وفي نفس الوقت هو مميز للعلوم الجغرافية في أهم ما تمتلكه وهو ميدانها الدراسي أو حقل دراستها العام. كما لا يجب النظر بترف الى هذه النقطة بل أن تؤخذ أهميتها بعين الاعتبار لترسيخ المفاهيم الجغرافية الأساسية ولخدمة العلم والمعرفة الجغرافية بشكل عام. وان مناقشة مفهوم المكان لغويا وفلسفيا تسمح بادراك فيما اذا كان من الصواب استخدام هذا المفهوم للدلالة على حقل الجغرافيا العام وغرضها الدراسي.

المكان لدى الانسان البدائي هو صورة لمظهر محسوس تشير الى مواقع ذات لون عاطفي، ولم يكن مفهوم المكان مستخدم في الحضارات القديمة فكانت هناك السماء، والأرض، والعالم الخفي، ثم مع بداية الحضارة الاسلامية التي استمرت من بداية القرن الثامن وحتى نهاية القرن الثالث عشر نجد ظهور تعابير أخرى للمكان هي: الحيز، المحلة، الجماعة، القبيلة، والمرادفات اللغوية للمكان هي المحل، الحيز، الموضع،وفي كتاب العبيدي ١٩٧٨ [١٠] عرض مفهوم المكان وما يتعلق به من مفاهيم جاءت من فلاسفة اليونان ومن بعدهم ومن أهم المفاهيم هي الخاصة بالفيثاغورثيون، أن المكان يرتبط بالأعداد وهو الامتداد الهندسي للجسم، أما أهم رؤية للمكان فنجدها عند الفلاسفة العرب: الكندي يقر بوجود المكان وهو نهايات الجسم عند التقاء المحيط بالمحاط به، أما الفارابي فهو يعرف المكان بالعلاقة بين المكان والمتمكن وجعل المحيط جزء من حد المكان الخاص بالمحاط به الذي هو المكان. ونجد نفس الفكر لدى اخوان الصفا،فالمكان كل موضع تمكن فيه المتمكن وهو نهايات الجسم، كما يعرف أبو حيان التوحيدي المكان على أساس أنه المحيط والمحاط به وهو ما مس من سطح الجسم الحاوي وانطبق على الجسم المحوي. وارتكز مفهوم المكان عند ابن الهيثم على المعنى اللغوي لمفهوم المكان وهو المرتبط بالبعد فالمكان هو الذي لا تزيد ابعاده عن أبعاد الجسم الذي يحتويه وهو سطح الهواء المحيط بالجسم. وعندما نقترب من المفهوم الخاص بمجال الدراسة الجغرافية عند المحدثين نجد Sauer 1925 ، الذي استخدم تعبير Areal Differentiations، التي تعني الاختلافات المساحية وليست المكانية، وقبله نجد أن هتنر ١٩٠٥م يعتمد بأن الجغرافيا هي علم التعرف على خصائص الأقاليم عن طريق تحليل العلاقات المجالية وليست المكانية Spacial relation كما أن دولابلاش عرّف الجغرافيا بأنها علم المجال La geographie est la science de l'espace ومن الجدير ذكره بأن هناك من أورد ذكر تعريف دولابلاش الفرنسي بعد تحويره ليصبح متطابق مع الترجمة العربية الخاطئة La Geographie est la science de la place. ليس عيبا أن عدد من جغرافيي البلاد العربية لم يكترث لهذا الأساس الفكري للجغرافيا وبقي التعبير المكاني للجغرافيا هو السائد حاليا وبأن المقصود به سطح الأرض، ونعتقد أن المكان في الفكر الجغرافي العربي هو بالضرورة ليس مجرد موضع، ومن خلال دراستنا للتعاريف نفترض في كل مرة تأتي أو تستخدم فيها كلمة مكان بأن المقصود منها هو المجال Space بالرغم أنه لغويا" وفي اللغة العربية لا يمكن ترجمة كلمة Space إلا بكلمة مجال [١١].

في الواقع تعنى الجغرافيا بالتغير والتباين والتخالف

---

[9] Hartshorne, R., 1939, the Nature of Geographie, Lancaster, and Penn: Association of American Geographers. Duford, M., Perrons, D., 1983, The Object of Geographical Analysis, The Arena of Capital, Critical of Human Geographie, Palgrave, London.

(١٠) العبيدي، حسن مجيد، ١٩٧٨، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

الجوهري، يسري، المضمون البشري في الجغرافيا، الاسكندرية مكتبة الاشعاع.

(١١) حاول صفوح خير في كتبه تقديم شرح لمفهوم المكان لاستشعارهم هذا الخطأ الفكري الناتج عن تعبير المكان وكذلك هناك محاولات غير منشورة لبعض من جغرافيي دول الخليج العربي، ونعتقد أنها جميعا غير ناجحة ولم تستطع تبرير هذا الخطأ مثال، انظر الصفحة ٥٢ من كتاب خير عن الجغرافيا الموضوع والمنهج والأهداف.

ولا يظهر هذا إلا على مساحة كبيرة من سطح الأرض هي المجال،ولا يمكن القول أن المجال يعنى المكان، هذه المعادلة خاطئة، فالمجال هو أكبر من المكان وفي المجال تتحقق الجغرافيا، تتحقق التغيرات والتباينات والتخالفات،وهي لا تتحقق على مستوى المكان،فالمكان ليس هو وحدة الدراسة المساحية الجغرافية.

ويهتم بالمكان المهندس المعماري أو المدني أو البيئي كما سبق ذكره، ذلك أن عمل المهندسين يقتصر على المواضع، وفي حالة قبول هذا الفكر فان ذلك يعني القبول بأن الجغرافيا هى علم الاختلافات المجالية؟ المكان هو وحدة الدراسة الهندسية وليس الجغرافية،وأنه لا توجد تباينات أو تغيرات أو اختلافات على مستوى المكان، وبأن الجغرافيا هى أكبر من الاختلافات المكانية، التغيرات والتباينات والتخالفات هى أكبر من المكان ولا تتحقق بداخله. وبالتالي سنلاحظ أن هناك تغيرات وتباينات وتخالفات أي سنلاحظ أن هناك جغرافيا في المنطقة التى نعمل على دراستهاعندما تكون مساحتها أكبر من المكان، وبالتالي فان منطقة الدراسة الجغرافية على مستوى البحث العلمي الفردي أو الجماعي هي بالضرورة مجالية وهي أكبر من المكان الذي هو حيز العنصر الجغرافي، كما سبق ذكره من خلال مراجعة المفاهيم التاريخية الفلسفية للمكان والمعنى اللغوي الخاص بهذه الكلمة التي نعتقد أن استخدامها يدخل ضبابية هامة في الفكر الجغرافي للناشئة من الجغرافيين.

تعريف الجغرافيا من خلال بعض الموسوعات العلمية الرئيسة :

يعتبر تعريف العلم ملخص فكري هام يستند اليه المتخصص طيلة عمره لتوجيه عمله للبقاء في دائرة التخصص وهو يشكل بالتالي القاعدة الفكرية ومرتكز فلسفي موجز له لا يجب الاستهانة به. وتعاني التعاريف المقدمة في الموسوعات العلمية بكونها شديدة التبسيط مع استخدام تعابير واسعة المعاني لكي يبق تعريفها متجددا مع الزمن، وهذا يعني ضرورة الانتباه بأن بساطة هذه التعاريف تجر ورائها دوما عدم الدقة:

١- تعريف الموسوعة العلمية الفرنسية " لاروس Larrousse " :

الجغرافيا هي العلم الذي يهدف إلى وصف الشكل الحالي لسطح الأرض حسب مركبتيه الطبيعية والبشرية.

٢- تعريف الموسوعة البريطانية :

الجغرافيا هي العلم الذي يهدف إلى بيان وتفسير سطح الأرض الحالي حسب مركبتيه الطبيعية والبشرية بهدف تحديد شخصية الأقاليم .

٣- تعريف لجنة المصطلحات البريطانية ١٩٥٠ م:

الجغرافيا هي دراسة الاختلاف المكاني لسطح الأرض كما يبدو حسب خصائص وصفات وعلاقات عناصر سطح الأرض مع بعضها البعض وانتظامها كالمناخ والتضاريس والأنهار والنبات والسكان والصناعة والإدارة.

٤- تعريف الجمعية الجغرافية الأمريكية ١٩٢٧م :

الجغرافيا هي علم ايكولوجية سطح الأرض الذي يعني بدراسة استجابات الإنسان لعناصر البيئات الطبيعية المختلفة .

٥- تعريف معجم اكسفورد: الجغرافيا هى علم سطح الأرض بمظاهره الطبيعية وتقسيماته السياسية ودراسة للمناخ والنبات والانسان إلى آخره . . . .

٦-تعريف معجم المصطلحات الجغرافية، يوسف توني: الذي عرف الجغرافيا أنها العلم الذي يصف سطح الأرض، ضاربا بعرض الحائط التطورات الهامة مع الزمن للعلوم الجغرافية.

تعريف بعض الجغرافيين ذوو الشهرة العالمية :

١- مؤسس الجغرافيا الألماني، هتنر١٨٩٨م : الجغرافيا هي علم معرفة مناطق الأرض حسب اختلاف بعضها عن بعض الأخر يأخذ بعين الاعتبار الإنسان الذي يعتبر جزء لا يتجزأ من طبيعة منطقة ما ، ومن ناحية أخرى يقول بأن الجغرافيا : هي العلم الذي يدرس التوزيعات الجغرافية لسطح الأرض أي انه علم المناطق والأمكنة وما يختص باختلافاتها وعلاقاتها المكانية .

٢- تعريف الفرنسي [١٢] Closet Rene, 1982، المأخوذ عن كتاب تطور الفكر الجغرافي الذي قام بترجمته عبد الرحمن حميدة [١٣]، الجغرافيا هي العلم الذي يدرس

(١٢) تم نشر هذا الكتاب في شبكة النت ويمكن الحصول عليه من الموقع التالي https://www.tahmil-kutubpdf.com/download/LB7G4V.html

سمات سطح الأرض أي المشهد المنظور اللاندسكيب الذي ينتج عن تفاعل المناخ والتضاريس والتجمعات النباتية والحشود البشرية وكذلك تدرس الجغرافيا القوى الطبيعية والبشرية التي تتحكم بتنظيم اللاندسكيب في الزمان والمكان فهي تسعى لان تفسر تناسقها على سطح الأرض داخل الإطارات الإقليمية .

٣- تعريف الأمريكي [١٤] James، Preston : في مقدمة كتابة عن الجغرافيا الأمريكية، قدم بريستن بأن الجغرافيا تعنى بدراسة الظواهر المجتمعة التي تشكل وتكون سمة للأماكن كما تعنى بدراسة أوجهة الشبة والاختلاف بينها، أو بأنها تختص بدراسة الروابط والعلاقات بين مختلف الظاهرات لكي تبرز شخصيات الأقاليم المعنية والأمكنة عن طريق إظهار أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

٤- تعريف الفرنسي [١٥] Max Derruau : وهو التعريف المقتبس من كتابة الوجيز في الجغرافيا البشرية، ١٩٦٣م، وقال بأن الجغرافيا هي علم العلاقات المتعددة الذي يفسر عمل الإنسان وأساليب حياته في مواطنه على سطح الأرض [١٦].

تعريف الفرنسي Lussault Michel,2003، الجغرافيا هي علم مجال المجتمعات أي يدرس البعد المجالي لما هو اجتماعي [١٧] ؟!.

ويبدو حسب البعض بأن الدراسة الجغرافية تبدأ بوصف الظواهر الجغرافية وما بينها من علاقات على نحو ما هي عليه من ترتيب وتنظيم، فهل غرض الجغرافيا دراسة الظواهر؟ ومن التعاريف التى تركز على هذا الاتجاه الوصفي للجغرافيا، تعريف مور،Maure [١٨] ، الذي يقول بأن الجغرافيا هي الدراسات التى تصف سطح الأرض من حيث الملامح الطبيعية والمناخ والإنتاج والسكان.

تعريف لاكوست Yve Lacost الجغرافيا هي علم الحروب في كتابه بعنوان الجغرافيا تخدم لعمل الحروب La Géographie sert à faire la guerre? سلسلة كتب Que sais-je.

تعريف كنت [١٩] Kant's، وهو جغرافي بريطاني يقول: أن الجغرافيا علم وفن وفلسفة، وفسر جمال حمدان هذا التعريف أنها علم بمادتها ، وفن بمعالجتها ، وفلسفة بنظرتها المميزة والخاصة [٢٠] . ويلاحظ هنا بما لا يدع مجال للشك بأن هناك نوع من الاستهانة بموضوع تعريف العلم وأن الفكر الأدبي ما زال قائما في الأذهان، وهذا على خلاف ما هو معمول به في قمة الجغرافيا العلمية زمن جمال حمدان نفسه.

---

(١٣) حميدة، عبد الرحمن، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة كتاب الفرنسي Closet Rene ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م

(١٤) باحث أمريكي متخصص في الجغرافيا الإقليمية حيث أنه أحد أنصار المدرسة الإقليمية التي تبلورت أفكارها في أحضان الرواد الأمريكيين، وقد عرف الجغرافيا بقوله " بأنها تختص بدراسة الروابط والعلاقات بين مختلف الظاهرات لكي تبرز شخصيات الأقاليم المعنية والأمكنةعن طريق إظهار أوجه التشابه والاختلاف بينهما" أستاذ في جامعة ميشيغان (من ١٩٣٤)، جامعة سيراكيوز (من ١٩٤٥)، وغيرها من الجامعاتكان مستشاراً ومديراً لمنظمات مختلفة اهتمت بخغرافية أمريكا اللاتينية والتنمية الإجتماعية من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٣ كان عضوا في المجلس الوطني للبحوث الجيوفيزيائية للإتحاد الأمريكي في عام ١٩٥١ أصبح جيمس رئيس جمعية الجغرافيين الأمريكية وكتب سلسلة من الكتب والدراسات عن جغرافية أمريكا اللاتينية.

15 Derruau,M., Précis de géographie humaine, compte-rendu, Revue de géographie alpine Année 1962 Volume 50 Numéro 4 pp. 672-673

(١٦) كتاب الفرا، محمد علي عمر، الجغرافيا بين المنهج والهدف، مكتبة العروبة، الكويت، ١٩٨٦، يحتوي العديد من المحاولات العلمية لتعريف الجغرافيا.

17 Article du Dictionnaire de la geographie et de l'espace des societes, dirige par Jacques Levy et Michel Lussault, 2003, Edition Belin.

18 Cf.Johnston, R. J. ,Geography and Geographers: Anglo-American Human Geography Since 1945 (London: Edward Arnold, 1979).

19 J. A. May, Kant's Concept of Geography and its Relation to Recent Geographical Thought (Toronto: University of Toronto Press, 1970) pp. 21–2 and 52–3.

(٢٠) عبد العال، أحمد محمد، الفكر الجغرافي عند جمال حمدان، مكتبة جزيرة الورد،

التعاريف العربية للجغرافيا التي قدمت من قبل بعض من الجغرافيين العرب :

النظر واستشارة الدراسات والكتب العربية المتوفرة يسمح بإستنباط عدد من التعاريف الخاصة بالجغرافيا، وخاصة منها التعاريف المميزة المقدمة من قبل أصحاب الفكر الجغرافي الذين قاموا بوضع مؤلفات هامة في الفكر الجغرافي، كما سنقوم باستخدام نتائج استبيان طلبة الدراسات العليا بقسم الجغرافيا، جامعة أم القرى الذي وجه لعينة مختارة من الجغرافيين العاملين في أقسام العلوم الجغرافية في المملكة العربية السعودية، لاستشفاف و استكشاف تعريف الجغرافيا الأنسب الخاص بهم ، كما سنستخدم نتائج استبيانات قمت بها شخصيا بالقرب من زملائي في جامعات المملكة العربية السعودية، أو ممن استجابوا لطلب الباحث بواسطة منصات التواصل الاجتماعي والاتصال بالبريد الالكتروني وغيره، للجميع جزيل المودة والشكر. وفي هذا المجال لن نعمد الى مناقشة التعاريف المقدمة من حيث الصحة أو الدقة العلمية أو مناسبتها لواقع العلوم الجغرافية الحالي بل سنحاول بعد العرض استخلاص الخطوط العريضة الفكرية التي تبدو واضحة والتي تعكس خصائص الفكر الجغرافي الحالي، كما يستطيع المهتم في القضايا الفكرية الجغرافية إجراء تحليلات خاصة به من جراء اطلاعه على مشاركات الآخرين من ذوي التخصص، تسمح له بالوصول الى نتائج تتعلق بتطوير فكره الخاص به أو قياس أبعاد الفكر الجغرافي الحالي ومدى انطباقه على المسار والتوجهات الفكرية للجغرافيا المعاصرة أو جغرافية الجيوماتكس.

١- تعريف أ.د. اسعد سليمان عبده وهو أب الجغرافيا وأول جغرافي سعودي: الجغرافيا هي علم دراسة المكان ويقول بان المكان هو جزء من سطح الأرض بكل ما فية ومن فيه من أغلفة مثل الغلاف الصخري والجوي والحيوي وكذلك الإنسان ومنتجاته المادية والفكرية لذلك يمكن تقسيم مكونات المكان إلى طبيعية وحيوية وبشرية،والمكان هو ليس مجموعة العناصر المكونة له، وإنما هو كائن جديد ينتج عن تفاعل تلك العناصر ويؤكد بأن حقل الدراسات الجغرافية هو المكان حسب المعنى في التعريف.

٢- تعريف د. خضران الثبيتي: الجغرافيا هي ذلك الفرع من المعرفة الذي يهتم بدراسة الظاهرات الجغرافية زمانا ومكانا والعلاقة المتبادلة بينها ومع غيرها من الظاهرات غير الجغرافية وما يترتب على ذلك من نتائج.

٣- تعريف أ.د. محمد الثمالي : عرف الجغرافيا بأنها هي العلم الذي يدرس توزيع ومواقع الظاهرات الجغرافية ويفسر ويحلل هذه المواقع والتوزيعات ويحدد حقل الدراسة الجغرافية بحسب الفرع المراد دراسته، الجغرافية الطبيعية حقلها الكون، والجغرافية البشرية مكان ومجال أنشطة الإنسان .

٤- تعريف أ.د. نزهة الجابري : تعرّف الجغرافيا بأنها دراسة شخصية المكان بملامحة الطبيعية والبشرية دراسة تحليل وتعليل وتوزيع والاستفادة التطبيقية من نتائج تلك الدراسة، وعن حقل الدراسة تقول: الجغرافية هي العلم الذي يدرس سطح الأرض والغلاف الجوي من حيث التباين والتكامل والتشابه ويحلل العلاقات المتبادلة بين مختلف الظواهر على السطح طبيعية وبشرية ومدى ارتباطها بمواطنها .

٥- تعريف أ. د. رمزي الزهراني: الجغرافيا هي علاقة الإنسان بالبيئة، الدراسات الجغرافية تهتم بالمكان زائدا المجال و الزمان .

- نلاحظ بأن تعريف "الزهراني" هو أول تعريف لجغرافي عربي لا ينفي استخدام كلمة المجال ويعتقد إن الدراسة الجغرافية لا يمكن إن تغفل مفهوم المجال لأن هناك مكونات كثيرة لها مركبة مساحية مجالية كبيرة على سطح الأرض لا يمكن استيعابها بالمكان مثال: التربة ، النبات ، التضاريس، العناصر الجوية .....الخ. وهناك مكونات لسطح الأرض علاقتها مع السطح تبقى مكانيه أو موضعية على سطح الأرض مثال : مرافق الخدمات أو المرافق الإدارية أو المرافق التجارية أو مرافق التجهيزات التقنية ....الخ .

في الواقع لا يمكن إهمال مفهوم المكان وعلاقاته العضوية مع عناصر ومكونات سطح الأرض الموضعية فهو فقط حيز العناصر الجغرافية الموضعية وهذا المفهوم يمكن أن يستخدم في منهجيات التحليل المكاني للعناصر الموضعية في حقل البحوث الجغرافية، وكذلك الحال فيما يخص اعتماد مفهوم المجال في العمل الجغرافي لأنه يعكس الصيغة الحقيقية لجغرافية عدد من عناصر سطح الأرض ويولّد منهجيات قوية مرتبطة ومندلقة منه.

٦- تعريف أ.د. احمد الشريعي: يقول لا استطيع القول بأن الجغرافيا هو ما يكتبه الجغرافيون ولكن لا يمكنني القول

بأنني أميل إلى تعريف الجغرافيا بأنها : دراسة الإنسان في البيئة ، وعن حقل الدراسات الجغرافية يقول بشكل قاطع المكان " .

٧- تعريف أ.د. فضل أيوبي: الجغرافيا هو العلم الذي يعني بدراسة شخصية المكان الطبيعية والبشرية وهي دراسة تقوم على التحليل والتعليل والتوزيع وترصد التفاعلات والتبادلات والمتغيرات والتناقضات والمستقبل في هذه الشخصية، وعن حقل الدراسات الجغرافية يقول سطح الأرض .

٨- تعريف أ.د. إبراهيم الأحيدب: الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة سطح الأرض وما عليه من ظاهرات طبيعية وبشرية والتفاعل المتبادل بينها.

٩- تعريف أ.د. محمد سعيد البارودي : الجغرافيا بأنها العلم الذي يهتم بدراسة وتوزيع الظاهرات الطبيعية على سطح الأرض وعلاقتها بالنشاط البشري تأثراً وتأثيرا، وعن حقل الدراسة الجغرافية يقول سطح الأرض ويمكن إن يهتم بأسطح الكواكب الأخرى إذا وصل إليها الإنسان وتفاعل معها.

١٠- أ.د. رشود الخريف: الجغرافيا هي وصف للتباين المكاني وتفسير ذلك من خلال ربط الاختلافات المكانية بخصائص الأماكن سواء كانت هذه الاختلافات اجتماعية أو اقتصادية أو طبيعية أو بيئية.

١١- تعريف د. الأمين عبد الصمد : الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بالوصف والتوزيع والربط لإبراز العلاقات بين الظواهر الطبيعية والبشرية من خلال التحليل والتغيير لتلك الظواهر والعمل على إبراز أهم أوجه التشابه والاختلافات لإمكانية وضع القوانين الثابتة للإسهام في حل المشاكل.

١٢- د. سعيد التركي: الجغرافيا هيعلم دراسة التأثيرات والعلاقات المتبادلة بين الإنسان والعوامل الطبيعية وحقل الدراسة الجغرافية هو سطح الأرض بأشكاله وعلاقاته مع الغلاف الجوي.

١٣-تعريف د. معراج نواب مرزا : الجغرافيا هي علم علاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به ومدى تأثيره بها وتأثيرها عليه وهو يدرس الظواهر الطبيعية والبشرية وعلاقتهما مع بعضهما البعض وتتفاعل الجغرافيا مع كثير من العلوم التي ساعدت على تطوره على مدى الزمنوأن حقل الدراسة الميدانية هوسطح الأرض.

١٤- تعريف د. مصلح القحطاني : هو ذلك العلم الذي يدرس تفاعل الإنسان مع البيئة وما ينتج عن ذلك من ظاهرات دراسة وتحليل وتعليل وتوزيع وحقل الدراسة الجغرافية هو المجال الذي يؤثر ويتأثر بالإنسان.

بعض التعريفات الموثقة للجغرافيين خارج المملكة العربية السعودية :

١- تعريف عبد الفتاح وهيبة في كتابة جغرافيا الإنسان ص ٣٦ : الجغرافيا هو العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة التي تدخل في الغالب في اختصاص علوم مختلفة، الأمر الذي يجعل منها علما توليفيا، ولعل مرجع ذلك أن الجغرافيا حينما تدرس ظاهرة من الظواهر لا تدرسها بمعزل من غيرها وإنما من خلال كل ما يربطها وترتبط به من عناصر ويقول في ص ٣٩ من نفس الكتاب : الجغرافيا لا تدعى بأنها فلسفة أو دين ولا تنحدر ولا تتحزب لمذهب سياسي كما إن طريقتها ووسائلهاأدواتها أضعف من إن تنافس العلوم المتخصصة في دراسة الأرض والإنسان ؟؟! .

٢- تعريف موسى الشاعر، الجغرافيا هي علم الذي يدرس شخصية المكان طبيعيا وبشريا دراسة تحليل وتوزيع وتعليل بهدف استخدامها في الجوانب التطبيقية .

٣- محمد محمود محمدين وطه عثمان الفراء من كتابهم في " المدخل إلى علم الجغرافيا "، الجغرافيا هي علم من العلوم الإنسانية يدرس سطح الأرض في تباينه المساحي بوصفة موطنا للإنسان وذلك بأسلوب عملي منظم يقوم على الملاحظة والوصف والشرح واستنتاج العلاقات القائمة بينهما وبين الإنسان في البيئات المختلفة .

٤- في كتابه عن الجغرافيا الطبيعية يقول محمد سامي عسل بأن : الجغرافيا هي دراسة العلاقات المتبادلة بين الظاهرات المختلفة في مكان معين ودراسة العلاقات المكانية بين الظاهرات في الأماكن المختلفة

٥- في كتاب البحث الجغرافي مناهجه وأساليبه لصفوح خير يقول بأن : الجغرافيا هي علم دراسة العلاقات بين البيئة الطبيعية والإنسان أو هي علم دراسة توافق النشاطات البشرية للبيئة الطبيعية .

٦- شاكر خصباك في كتابة "عن طبيعة الجغرافيا"، يقول بأن: الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الجغرافية المختلفة على سطح الأرض وقد تشمل هذه الدراسة الاهتمام ظاهرة أو الظاهرات الطبيعية كانت أم بشرية .

٧- فوزي الأسدي في كتابة عن جغرافية أمريكا الشمالية يقول بأن: الجغرافيا هي العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين الظواهر الطبيعية والبشرية الموجودة على سطح الأرض فالجغرافيا إذن هي علم العلاقات المكانية بقدر ما تهدف إلى خدمة الإنسان.

٨- في كتاب الجغرافيا السياسية لمحمد متولي ومحمود أبو العلا يقول بأن: الجغرافيا تدرس الظاهرات على سطح الأرض الطبيعة والبشرية القائمة في الوقت الحالي.

٩- طه محمد جاد، ١٩٨٠، في بحثه المنشور في الجمعية الجغرافية الكويتية بعنوان نظرات في الفكر الجغرافي الحديث، يذكر بأن الجغرافيا هي معرفة خصائص البيئة المحلية والبيئات المجاورة والبيئات الأبعد على سطح الأرض ويمكن اعتبار ذلك الدور الرئيسي لعلم الجغرافيا ان لم يكن هو الدور الرئيسي!.

١٠- ويرى بعض من كبار جغرافيي الحداثة لفترة ما قبل الجيوماتكس بأن العلوم الجغرافية تتعامل مع البيئة مما جعل البعض يصف هذا التوجه بالبيئي، متمثل بعنوان على قدر من الغرابة وهو أن الجغرافيا هى دراسة تأثيرالبيئة الطبيعية في الانسان وأوجه نشاطه المختلفة، ومن أمثلتها نورد التعاريف التالية:

١١- تعريف الاستاذ الدكتور محمد حجازي [٢١] الذي قدم الينا مباشرة وبخط يده استجابة كريمة منه عندما التقيت معه في جامعة الامارات العربية المتحدة في بداية تسعينات القرن الماضي، من أجل عمليات حصر ودراسة الفكر الجغرافي في المنطقة العربية الذي بدأنا به منذ العام ١٩٩٥م، ويلاحظ من خلال ما قدم له أستاذنا الكبير الصعوبات القائمة وراء تعدد التعاريف العلمية للجغرافيا وأنه بالرغم من كونه متخصص في العلوم البشرية فان حقل أو ميدان الدراسة الجغرافية بالنسبة له يكمن في النظم البيئية المكانية، كما نلاحظ تأكيده على أن تعريفات علم الجغرافيا متغيرة مع استمرار تغير المفاهيم المكانية.

١٢- وكذلك الأمر بالنسبة للجغرافيين الذين أثروا في

(٢١)

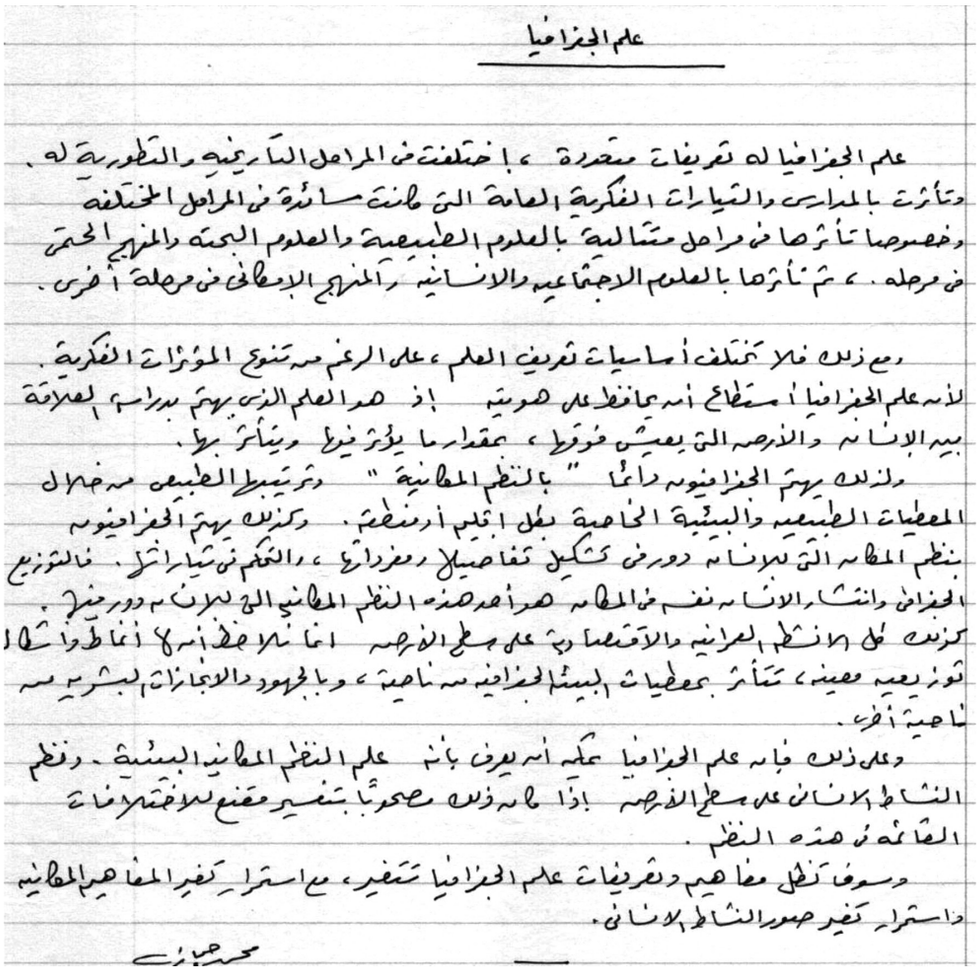

علم الجغرافيا

علم الجغرافيا له تعريفات متعددة ، إختلفت في العوامل التأثيرية والتطورية له. وتأثرت بالمدارس والتيارات الفكرية العامة التي كانت سائدة في المراحل المختلفة وخصوصا تأثرها في مراحل متتالية بالعلوم الطبيعية والعلوم البحتة والمنهج الكمي في مرحلة ، ثم تأثرها بالعلوم الاجتماعية والانسانية والمنهج الإحصائي في مرحلة أخرى.

ومع ذلك فلا تختلف أساسيات تعريف العلم ، على الرغم من تنوع المؤثرات الفكرية. لأنه علم الجغرافيا استطاع أن يحافظ على هويته إذ هو العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش فوقها ، بمقدار ما يؤثر فيها ويتأثر بها.

ولذلك يهتم الجغرافيون دائما "بالنظم المكانية" وترتبط الطبيعي من خلال المعطيات الطبيعية والبيئية الخاصة بكل إقليم أو منطقة. وكذلك يهتم الجغرافيون بنظم المكان التي للإنسان دور في تشكيل تفاصيلها ومفرداتها ، والتحكم في سيادتها. فالتوزيع الجغرافي وانتشار الإنسان نفسه من المكان هو أحد هذه النظم المكانية التي للإنسان دور فيها. كذلك كل الأنظمة العمرانية والاقتصادية على سطح الأرض إنما تلاحظ أنها أخذت أشكالا توزيعية معينة، تتأثر بمعطيات البيئة الجغرافية من ناحية ، وبالجهود والانجازات البشرية من ناحية أخرى.

ومع ذلك فإنه على الجغرافيا عكس أنه يعرف بأنه علم النظم المكانية البيئية. ونظم النشاط الإنساني على سطح الأرض إذا فإنه ذلك يحتم بأن تغير مفهوم للاختصاصات القائمة في هذه النظم.

وسوف تظل مفاهيم وتعريفات علم الجغرافيا تتغير، مع استمرار تغير المفاهيم المكانية واستمرار تغير صور النشاط الإنساني.

محمد حجازي

مسار الفكر الجغرافي العربي في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي نورد تعاريف أساتذة أجلاء أشتهروا في الثلث الأخير للقرن العشرين ومنهم أستاذنا الكبير أ.د. محمد عبد الغني سعودي وأ.د. حسن أبو العنين [٢٢] .

ويؤكد سعودي،بأن علم الجغرافيا هو الذي يهتم بدراسة البيئة الطبيعية والإنسان والعلاقة المتبادلة بينهما ومحاولة تفسير التنظيم المكاني للظواهر الجغرافية المختلفة " الظواهر الطبيعية والبشرية "، ويجاريه بذلك أبو العنين في تعريفه بأن الجغرافيا هي العلم الذي يدرس البيئة والإنسان ومدى العلاقة و التفاعل بينهما واثر الإنسان في تشكيل البيئة في نشاط الإنسان وحياته .

١٣- من المحاولات الجديدة القيمة التى قدمت لتعريف العلوم الجغرافية وخاصة على يد أ.د. محمد محمود محمدين،في كتابه الشهير عن الجغرافيا والجغرافيون، دراسة زمكانية، يقول أن الجغرافيا هى دراسة شخصية المكان بملامحها الطبيعية والبشرية دراسة تحليل وتعليل وتوزيع والاستفادة التطبيقية من نتائج تلك الدراسة. ويعتبرمؤلف هذا الكتاب من الشخصيات الجغرافية المرموقة من الناحية الفكرية ونعتقدأن هذا التعريف المقدم من قبله هام وأساسي لأن صاحبه يعتبر على الساحة العلمية جغرافي معروف على مستوى الوطن العربي وله عدة مؤلفات قد تعمق من خلالها في دراسة الفكر الجغرافي العربي والعالمي. هل نتفق مع هذا التعريف؟ علما بأن هذا التعريف هو من أحدث التعاريف وأكثرها شمولية، ومن خلاله نتبين ما يلي:

- **النقطة الأولى**، الهدف من الجغرافيا هى دراسة شخصية المكان بملامحه !.

- **النقطة الثانية**، يقول الجغرافيا هى دراسة شخصية المكان؟ ما هو الغموض هنا؟ وهل استخدام تعبير الشخصية يشكل استخدام واضح علمي ودقيق؟. إذا رجعنا إلى التعريفات السابقة فنجد أنها تقول الجغرافيا تدرس سطح الأرض. فهل المقصود بالمكان سطح الأرض؟ وهل للمكان ملامح طبيعية وبشرية أم أنها عناصر أو مكونات حددت

(٢٢)

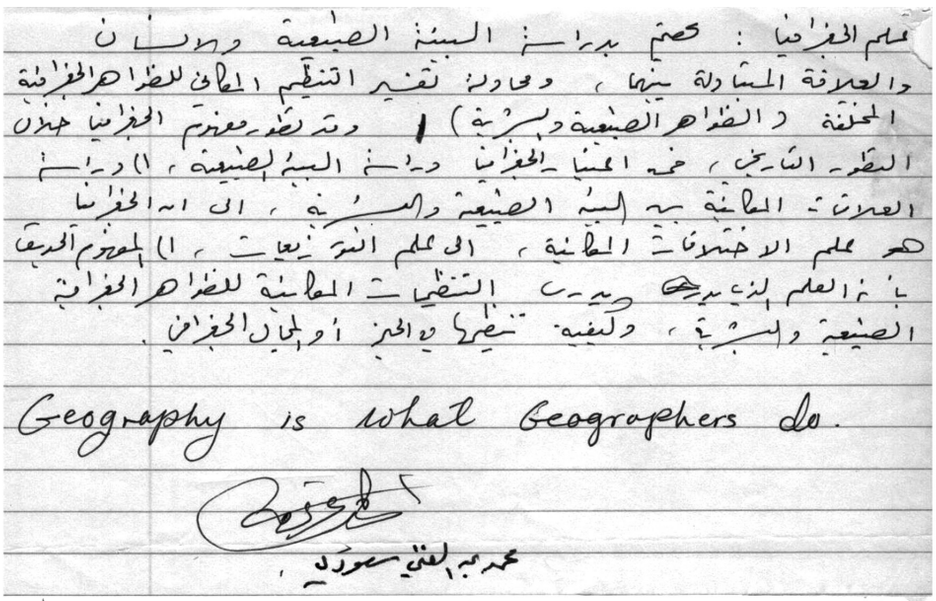
علم الجغرافيا : تحتم بدراسة البيئة الطبيعية والإنسان
والعلاقة المتبادلة بينهما ، ومحاولة تفسير التنظيم المكاني للظواهر الجغرافية
المختلفة (الظواهر الطبيعية والبشرية) . وقد تطور مفهوم الجغرافيا خلال
العصر الحديث ، فمن الجغرافيا التقليدية ، التي تدرس البيئة الطبيعية ، إلى دراسة
العلاقات المتبادلة بين البيئة الطبيعية والبشرية ، إلى أن الجغرافيا
هي علم الاختلافات المكانية ، إلى علم التوزيعات ، إلى المفهوم الحديث
بأنها العلم الذي يدرس وبدرس التنظيمات المكانية للظواهر الجغرافية
الطبيعية والبشرية ، وكيفية تغيرها في الحيز أو المكان الجغرافي .

Geography is what Geographers do.

محمد عبد الغني سعودي

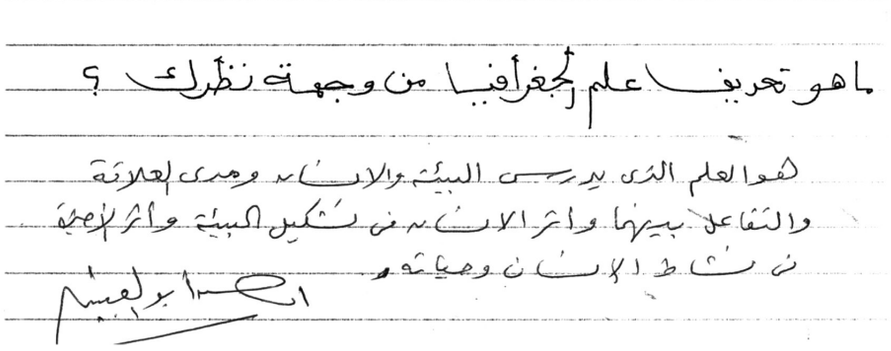
ما هو تعريف علم الجغرافيا من وجهة نظرك ؟

هو العلم الذي يدرس البيئة والإنسان ومدى العلاقة
والتفاعل بينهما واثر الإنسان في تشكيل البيئة واثر البيئة
في نشاط الإنسان وحياته .

أ.د. حسن أبو العنين

بنظرية الجغرفة، ثم ما هو الهدف التطبيقي من جراء الدراسات الجغرافية الذي لم يبينه تعريف محمدين. هذه النقاط هي التي سيصطدم بها ناشئة الجغرافيا عند محاولتهم بناء فكر جغرافي يميز شخصيتهم العلمية.

الخطوط العريضة الخاصة بالتحليل العام لتعاريف العلم:

ونستنتج هنا بأن تعدد مثل هذه التعاريف وعدم دقتها يبلور ضبابية في القواعد الفكرية للجغرافي الناشئ وهو الأمر الواجب تلافيه ويتطلب تطوير دراسات فكرية جادة تقوم عليها الجغرافيا المعاصرة.

عندما ينظر ناشئة الجغرافيا الى جملة هذه التعاريف تتأكد لديهم الحقائق التالية التي يمكن في نفس الوقت استنتاجها من قبل قارئ هذا العمل:

- تعتبر كافة هذه التعاريف ناقصة لكونها تتوقف عند جزئية واحدة من العلم ولا تحاول تغطية العلم من حيث موضوعه وحقل دراسته والمهمة والمنهجية والأهداف.

- التنوع الملاحظ في التعاريف لدرجة يعتقد معها القارئ بأن الأمر لا يتعلق بتعريف علم واضح المعالم وجيد التبلور مثل العلوم الجغرافية.

- استخدام مفهوم المكان للدلالة عن ميدان الجغرافيا أو موضوعها عوضا عن المجال Space.

عدم وضوح الحدود في فكر بعض الجغرافيين حتى الآن للفرق الواضح والكبير بين علم الجغرافيا وعلم البيئة والأمر ما زال مستمرا حتى الآن؟! وهنا نلاحظ اهتمام الجغرافي بكون البيئة ميدان العمل الجغرافي؟ فهل يمكن تناسي علوم البيئة والغاء وجودها لعدم استطاعة الجغرافي القيام بتأكيد فكري لميدان عمل الجغرافيا وحقل دراستها وبالتالي أن نقبل كجغرافيين بأن حقل الدراسة الجغرافية هو في تحليل العلاقات الزمكانية لمكونات سطح الأرض.

- ونفهم من عدد من التعاريف بأن المهمة الجغرافية تعني تحليل العلاقات بين عناصر السطح والانسان فقط، وهذا الأمر يشكل أحد محاور التحليلات الخاصة بالعلاقات المجالية فالمقصود بها دراسة وتحليل وتعليل العلاقات بين العنصر أو المكون الجغرافي المدروس مكانيا دون عزله عن سطح الأرض، أي تحليل العلاقات مع الوسط الجغرافي المحيط وتحليل العلاقات مع باقي عناصر المكون المدروس وأخيرا تحليل العلاقات مع العناصر مختلفة النوع في محيط المكون الجغرافي والتي أثرت في تكوينه وتطوره.

- عدم الثقة في العلم نفسه وأهميته لخدمة الانسان وأرضه، علما بأنه ينظر حاليا للجغرافي في الدول الغربية المتطوره بأنه المهندس المعماري للمجال وأن الجغرافيا لم تعد علم لفلسفة المكان بل أصبحت علم لهندسة المجال.

- لا يوجد تعريف واحد يحدد بشكل واضح ومؤكد هدف العلوم الجغرافية، الذي يلخص كما سبق ذكره بالاستخدام الأمثل لسطح الأرض لأغراض التنمية المستدامة.

- عدم وضوح المهمة أو الوظيفة الجغرافية في معظم التعاريف والاكتفاء بالقول بأن الأمر يتعلق بدراسة الظواهر الطبيعية والبشرية. علما بأن العلوم الجغرافية الحديثة والمعاصرة لا تكترث بالظواهر التي هي مجال علم الاجتماع، ذلك أن تعريف الظاهرة لغويا وعلميا هو الشئ أو الحدث الغريب غير الاعتيادي والقابل للزوال، وأن المهمة الأساسية دون تفصيل لعمل الجغرافي تنحصر بالتحليلات الزمكانية لعناصر ومكونات ىسطح الأرض الخاضعة لنظرية الجغرفة، وليس للجغرافي أية علاقة بالظواهر.

وندرك الصعوبة الكبيرة وراء تقديم تعريف متكامل للعلوم الجغرافية يساعد الناشئة في بناء فكر جغرافي قائم على أسس سليمة يتسم بوضوح المعاني وسهل الفهم ويسمح بتطوير خيال فكري جغرافي جيد، وذلك بالاستناد الى هذه التعاريف المتوفرة والتي حددت الفكر الجغرافي المتطور والمتغير مع الزمن نتيجة لتطور العلم نفسه وارتفاع مستوى المعارف الجغرافية على مستوى العالم.

الجغرافيا هي علم من علوم الأرض[٢٣] تهتم بدراسة الانتظام المجالي الزماني لمختلف المكونات الجغرافية لسطح الأرض الطبيعية والبشرية والاقتصادية والعلاقات الاشكالية الناتجة عنها دراسة تحليل وتعليل بهدف الاستغلال الأمثل لسطح الأرض لأغراض التنمية المستدامة أخذا بعين الاعتبار الشروط المحددة لشخصيات المناطق والأقاليم.

(٢٣) علوم الأرض هي العلوم التي تختص بدراسة كوكب الأرض والتي يجب التمييز بينها كأساس فكري جغرافي هام وهي: العلوم الجغرافية، العلوم الجيولوجية، علوم البحار والمحيطات، علوم البيئة، علوم الأرصاد الجوية، علوم الفلك، علوم المساحة والقياسات الأرضية، وتختلف هذه العلوم جذريا عن بعضها البعض من حيث حقل الدراسة وموضوعاته، المهمة والوظيفة والمنهجية وكذلك في الأهداف، ولكنها تتكامل مع بعضها البعض لرفع المستوى المعرفي عن الأرض لفائدة الانسان الذي يعيش على سطحها.

النتائج:

التعرض لمثل هذا الموضوع الفكري يعتبر من الضرورات الملحة، ويبدو بأن هذا الكم الوفير من الدراسات السابقة في الجغرافيا النظرية والفكرية الذي يتسم بعضها بالحداثة والقوة العلمية،أفضى الى تعدد المفاهيم والرؤى وأدى الى إهمال نوعي للدراسات الفكرية المبسطة الموجهة لناشئة الجغرافيين. الفكر النوعي والقائم على الوضوح والدقة يساعد في بناء فكر علمي جغرافي قائم على أسس صحيحة لضرورة مواكبة الفكر النظري للتطورات العلمية المعاصرة للجغرافيا في الميادين الرقمية وميادين الجيوماتكس والميزة للقرن الحالي. ونحن على يقين بأن هذا العمل المقدم سيكون ملهما لآخرين لتقديم أعمال تقوم على حصر فاعل لكافة المحاولات الخاصة بالتعاريف العلمية المنشورة في الساحة العلمية الجغرافية العربية والعمل على تصنيفها لتسهيل السيطرة على المادة الفلسفية الأولية للجغرافيا وفهم هذا التخالف القائم في مرئياتها المطروحة،لكي يدرك الجغرافي بأن التعريف مهما كان جاد يجب اعتباره كمحاولة علمية فكرية تعكس المستوى الادراكي الفكري لمقدم هذا التعريف وبأن الجغرافي عليه أن يختار منها ما يراه هو ملائما له حسب تخصصه العلمي ومستواه المعرفي،وما تم ايراده من تعاريف في هذا النص لا يشكل الا الجزء اليسير من التعاريف التي تم ايجادها واستخراجها وتصنيفها من قبل الباحث ومنها ما هو غير منشور ومقدم للباحث مباشرة من قبل واضعه.

وعند مناقشة قضية المكان والمجال نجد بأن الجغرافيا تتجلى أو تتبلور عندما تتزايد وتتعقد التغيرات والتخالفات وبالتالي فإن الحقل الدائم لهذا التغيرات والتباينات والتخالفات هو في الحقيقة سطح الأرض أو المجال،ذلك أن النقطة تمثل التجانس المثالي حيث تنعدم الجغرافيا وأن الجغرافيا تتلاشى رويدا مع تناقص أبعاد المنطقة الدراسية، وبالتالي يجب رفض المكان كوحدة مساحية في الدراسة الجغرافية، فالجغرافيا تغير، تباين ، تخالف ، تنوع وهي العلم الذي يحدد الانتظام المجالي لهذه التغيرات والتباينات والتخالفات ويعمل على تحليلها وتعليلها، لذلك يجب استخدام المكان بحذر وليس للتعبير عن حقل دراسة علم الجغرافيا.

كما ندرك بأن البحوث العلمية في أي ميدان من ميادين الجغرافيا الطبيعية أو البشرية ترتكز على وحدات مجالية اقليمية تدعى بمنطقة الدراسة، ولا يشترط أن تكون مناطق الدراسة خاضعة لمعايير محددة في التحديد والاختيار خاصة وأن الفكر الجغرافي يسمح بتطوير دراسات وأبحاث لتحليل واستيعاب أحد المكونات الجغرافية لسطح الأرض أو لحل احدى الاشكاليات التي يعاني منها المجال الحضري لمدينة ما أو المجال الريفي أو الطبيعي لجهة معينة من التراب الوطني على سبيل المثال، وتتسم الدراسات والأبحاث العلمية الجغرافية على مستوى العالم وفي المنطقة العربية في الوقت الحاضر بكونها أبحاث متخصصة يمكن استخدامها ودمجها لاحقا في معالجة التنمية الاقليمية، أي أن الاختيار الحر لأقاليم البحث العلمي الجغرافي لا يشترط أن يكون بهدف تحقيق الأعمال الخاصة بالتنمية عدا بطبيعة الحال البحوث العلمية التي تطور من قبل الجغرافيين لصالح جهات حكومية هدفها الأساس هو التطوير والتنمية الاقليمية أو الجهوية. وفي واقع الأمر فان الجغرافي مهما كانت طبيعته الفكرية يتبنى الفكر الاقليمي خاصة عند اختياره لمنطقة الدراسة، التي عادة ما يتم تحديدها بعناية فائقة وذلك لوجود علاقة عكسية بين دقة وعمق البحث العلمي ومساحة منطقة الدراسة. هل نستطيع القول اذا أن الدراسات والبحوث الجغرافية التخصصية في مختلف العلوم الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية التي يشترط لها الأصالة والعمق تتطلب اختيار أقاليم صغيرة للبحث؟ وهل الحد الأدنى للوحدات الجغرافية التي تقبل التحليل المكاني لأجل استقراء العلاقات المكانية والاستدلال على التفسيرات المناسبة لها هو المجال الذي يمكن أن يعّرف بالحدود التي يبدأ عندها سطح الأرض بتطوير أو باظهار جغرافية خاصة به وبالتالي فان المكان الجغرافي كمفهوم سيكون مرتبط بحيز العنصر الجغرافي على سطح الأرض،ان كان موضعي أو خطي أو مساحي والمجال هو مجموعة الأماكن الجغرافية المتجاورة للعناصر الجغرافية المكونة له؟ فهل تختلف مساحة الوحدات الجغرافية لمنطقة الدراسة باختلاف التخصص الجغرافي؟

وتعتبر الاجابة عن هذا السؤال الفكري غاية وضرورة ويجب أن تستدعي اهتمام الجغرافي المعاصر الذي بدأ يعتمد على الفكر الجغرافي الصحيح والمتين ويصب اهتمامه على البحث العلمي، وعلى كل حال نجد بأن المرتكز المجالي للجغرافيا هو دائم وقائم، اذ ندرك بأن قلب المهمة الجغرافية تكمن

في دراسة العناصر الجغرافية المكونة لسطح الأرض في وسطها الجغرافي أي دون عزلها عن المجال الجغرافي والا لتحولت هذه الدراسات الى دراسات غير جغرافية والمنهجية الجغرافية، ومهمة الجغرافي وهدف الجغرافيا تقتضي العمل داخل البساط الجغرافي الذي يعبر عنه بالمجال الذي استطاع الجغرافي تطوير أدوات علمية مناسبة للتعبير عنه والتي تعتبر نتاج علوم ضخمه من أجل السيطرة والتحكم لتسهيل استقراء مجال منطقة دراسته، يتعلق الأمر بالتطور الهام في نظم التحليل المجاليةلتوصيف وتحليل وتعليل العلاقات المكانية التي ندعوها بنظم المعلومات الجغرافية، ونظم الاستشعار عن بعد. الارتباط العضوي للمهمة الجغرافية بالمجال يتطلب استكمال الدور الجغرافي باستكمال الطرق التي تسمح بالسيطرة على منطقة الدراسة وبيان العلاقات المجالية للعناصر الجغرافية المدروسة بشكل علمي وملتصق مع الواقع. وهكذا نجد استشعار الآخرين بأهمية تحديد مناطق للدراسة تتناسب ومتطلبات التخصص والأدوات المستخدمة حاليا من قبل الجغرافي.

وندرك ابتداء من هذه الحقائق بأن مجال العمل في جغرافية الحضر أو Urbain Geography هو المجال الحضري أو البلدي أو المعمور للمدينه أما مجال الدراسة في الهيدرولوجيا فهو المحدد بخط تقسيم المياه الذي يقسم سطح الأرض الى أحواض مائية، وأن الوحدات المورفولوجية هي التي تحدد مجال الدراسة للبحث الجيومورفولوجي، وهذا المجال يختلف عن حقول الدراسة أو مجالات البحث في جغرافية السكان أو جغرافية الصناعة أو جغرافية الزراعة ... وهكذا

ويقوم البحث العلمي الجغرافي بشكل أو بآخر ودون دراية مسبقة أحيانا من قبل الجغرافي، على دراسة مكون جغرافي داخل اقليم ماأو داخل منطقة الدراسة وتحديد أثره في تكوين البنى الجغرافية لمكونات هذا الاقليم لتنميته لاحقا، ويختلف منهج الدراسة أي منهج المعالجة باستخدام مختلف الطرق المنهجية النوعية والكمية والمنهج العام يقتضي دراسة العناصر الجغرافية بشكل شامل داخل الاقليم لمعرفة دور التغيرات الزمكانية في تحديد وتفسير العلاقات المكانية لعناصر المكوّن الجغرافي الذي يحدد كل منها خاصية ما من خصائص منطقة الدراسة لأجل تطوير آليات استخدامه بشكل أمثل لأغراض التنمية المستدامة. ونجد في الواقع أهمية كبيرة في اختيار اقليم أو منطقة الدراسة لأنه يعكس الوعي الفكري للباحث الجغرافي ويؤدي الى نتائج علمية هامة تساعد في الاستفادة من البحث ونستطيع أن نذكر المعايير التي يمكن اعتمادها في تحديد منطقة العمل لتشخيص اقليم الدراسة كما يلي:

استخدام أحد المكونات الطبيعية المهيمنة، استخدام أحد المكونات البشرية المهيمنة، استخدام أحد المكونات الاقتصادية المهيمنة، استخدام أحد المفاهيم الجغرافية مثال:التجانس النسبي، استخدام مفهوم طبيعة كينونة قلب الاقليم أو نواته، استخدام أحد المفاهيم الاجتماعية: الحضرية، القبلية، اللغة، العرق...الخ، الحدود الادارية.

المراجع العربية:

لمزيد من المعلومات ندرج بعض من الأدبيات الهامة:

- ابراهيم، عيسى علي، ٢٠٠٢م، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- أحمد، نفيس، ١٩٧٨م، الفكر الجغرافي في التراث الاسلامي، ترجمة فتحي عثمان، دار القلم، الكويت.
- آل الشيخ، عبد العزيز عبد اللطيف،٢٠٠٦م، الجغرافيون يأتون عبر طريق طويل، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.
- آل سعود، مشاعل بنت محمد، ٢٠٠٦م، الاتجاهات الحديثة في نظم وتقنيات الجغرافيا، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.
- جاد، طه محمد، ١٩٨٧م، نظرات في الفكر الجغرافي الحديث، نشرة الجمعية الجغرافية الكويتية، وقسم الجغرافيا جامعة الكويت، رئيس الوحدة عبد الله يوسف غنيم، الكويت.
- الجوهري، يسري، ١٩٨٠م، الجغرافيا منهج وتطبيق، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية.
- الخلف، عبد الله خلف، ٢٠٠٦م، الجغرافيا والتقنية، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.
- خيال، عبد الحميد، ١٩٨٨م، الاتجاهات الفلسفية

والمنهجية في الجغرافيا، الندوة العلمية حول المنهج العلمي، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، بنغازي.

• خير، صفوح، ٢٠٠٠م، الجغرافيا، موضوعها ومناهجها وأهدافها، دار الفكر، دمشق.

• الشريعي، أحمد البدوي، ٢٠١٧م، تطور الفكر الجغرافي، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

• العيار، تركي، ٢٠٠٦م، استشراف المستقبل واكتشاف الحاضر، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.

• الفرا، محمد علي عمر،١٩٨٣م، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت.

• الفرا، محمد علي عمر، ١٩٨٩م، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث، نشرة الجمعية الجغرافية الكويتية، وقسم الجغرافيا جامعة الكويت، رئيس الوحدة عبد الله يوسف غنيم، الكويت.

• قربة، جهاد محمد، ١٩٩٨م،الجغرافيا بين المجال والمكان، مجلة النشرة الجغرافية،السنة السابعة، العدد الأول، الجمعية الجغرافية السعودية، جامعة الملك سعود.

• قربة، جهاد محمد،٢٠٠٤م، رؤية جغرافية، مجلة النشرة الجغرافية،السنة الحادية عشرة، العدد الأول، الجمعية الجغرافية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض.

• قربه، جهاد محمد، ٢٠١٥م، الخطوط الرئيسية لتطور الفكر الجغرافي، جامعة أم القرى، قسم الجغرافيا، نشر الكتروني، موقع جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

• القرني، ظافر علي، ٢٠٠٦م، الجغرافيا والمهندسون، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.

• محمدين، محمد محمود، ٢٠٠١، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار العلوم الطبعة الأولى، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الرياض.

• منصوري، محسن أحمد، ٢٠٠٦م، آن الأوان لتغيير النظرة النمطية لعلم الجغرافيا، الجغرافيا والتقنية، نشره خاصة لندوة أقسام الجغرافيا بجامعات المملكة العربية السعودية، الجمعية الجغرافية السعودية، الرياض.

المراجع الأجنبية:

• Blaut, J. M. , Object and Relationship, Professional Geographer, vol. XIV, no. 6 (November 1962) pp. 1–7.CrossRefGoogle Scholar.

• Hartshorne, R., The Nature of Geography. A Critical Survey of Current Thought in the Light of the Past, Annals of the Association of American Geographers, vol. XXIX, no. 3 (September 1939) pp. 171–412 and vol. XXIX, no. 4 (December 1939) pp. 413–658, pp. 239–40.Google Scholar.

• May, J. A. , Kant's Concept of Geography and its Relation to Recent Geographical Thought (Toronto: University of Toronto Press, 1970) pp. 21–2 and 52–3.Google Scholar.

• Principles of Human Geography, ed. E. de Martonne, trans. M. Todd Bingham (London: Constable, 1926).Google Scholar.

• Ruben, D. H. , Marxism and Materialism: A Study in Marxist Theory of Knowledge (Brighton: Harvester Press, 1977).Google Scholar.

• Russell, B. , History of Western Philosophy, 2nd edn (London: George Allen & Unwin, 1961) p. 525.Google Scholar.

• Sayer, R. A. , Epistemology and Conceptions of People and Nature in Geography, Geoforum, vol. 10, no. 1 (1979) pp. 19–44.CrossRefGoogle Scholar.

• Schaefer, F. K. , Exceptionalism in Geography: A Methodological Examination, Annals of the Association of American Geographers, vol. XLIII, no. 3 (September 1953) pp. 226–49;CrossRefGoogle Scholar.

• Stoddart, D. R. , Darwin's Impact on Geography, Annals of the Association of American Geographers, vol. 56, no. 3 (December 1966) pp. 683–98.CrossRefGoogle Scholar

• Vidal de la Blache, P., Les Genres de Vie dans la Géographie Humaine, Annales de Géographie, vol. 20 (1911) pp. 193–212;CrossRef-Google Scholar.

• Wrigley, E. A. , Changes in the Philosophy of Geography, in R. J. Chorley and P. Haggett (eds), Frontiers in Geographical Teaching, 2nd edn (London: Methuen, 1970) pp. 3–20.Google Scholar.